

واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية

أ.د. ثريا العيد التجاني

مقدمة:

قبل التطرق إلى واقع اللغة العربية في الجزائر، نعطي لمحة وجيزة عن اللغة بصفة عامة، كما يراها العلماء. إذ يقول أحدهم: "... إن الكلام جوهر الإنساني... وإنما احتلت اللغة هذه المكانة، لأنها دليل على القدرة العقلية المفكرة التي اختص بها الإنسان، إذ اللغة ثمرة العقل، الذي هو جوهر الإنسان. إن اللغة ظاهرة اجتماعية حضارية، وقال الحكماء في شأنها: أن الإنسان مدني بالطبع. وهذه المعاونات و الضرورات المقتسمة بين الناس التي تتم بها حياتهم وتحسن معاشتهم... هي كثيرة غير متناهية. وربما كانت حاضرة فصحت الإشارة إليها، وربما كانت غائبة، فلم تكف الإشارة فيها، فلم يكن بد من اللجوء إلى حركات بأصوات دالة على هذه المعاني باصطلاح ليستدعيها بعض الناس لبعض، أو يتعاون بعضهم بعضا، فيتم لهم البقاء الإنساني، وتكمل فيهم الحياة البشرية."^١

وتتميز اللغة العربية بميزة فريدة من نوعها على سائر اللغات الأخرى، تتمثل في ارتباطها بالقرآن الكريم والإسلام، الذي يحث على طلب العلم، وبالتالي نجد أن اللغة العربية لغة علم تبعا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد. ودليلنا الآخر الحضارة العربية الإسلامية، التي كان علماءها يؤلفون في سائر العلوم باللغة العربية. وكان علماء الغرب يتسابقون إلى تعلمها والترجمة منها إلى لغاتهم. إذ لا يخلو أي ميدان في العلوم من استخدام على الأقل كتابا واحدا من كتب العلماء العرب والمسلمين. وهذا ما حفظها من الاندثار عبر التاريخ بالرغم من حملات الاستعمار المتوالية على الوطن العربي، وحرقت كتب التراث الخاص بها، مما عرض اللغة العربية لأزمات عتيفة، كادت أن تعصف بها. وأبعدتها شيئا فشيئا عن لغة الحياة اليومية، وحلت محلها اللهجات العامية، التي شجعها الاستعمار عليها. وذلك قصد إحلال لغته محلها، لأنه عمل بشتى الوسائل لإزاحتها.

التعريف باللغة العربية:

كان للعرب قبل الإسلام مستويات في اللغة مستوى أدبي تمثله لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، وشعر الشعراء، وخطب الخطباء، وما كتبه الكتاب، وتلك هي التي ندعوها باللغة العربية المشتركة النموذجية الأدبية، أما المستوى الآخر فهو مستوى الكلام العادي أو لهجات الخطاب التي اختلفت فيها القبائل بعض الاختلاف، والتي نظمت صفات محلية سماها العلماء لغات العرب ولهجاتهم أو اللغة العربية ولهجاتها.^٢

وترى الباحثة الجزائرية فطومة سويسبي في إطار استعمال مستويات اللغة، في مواضع معينة حسب الظروف، التي

يكون فيها مستعملها، أنه: "من المسلم به أن الاستعمال اللغوي في المخاطبات اليومية، له علاقة وثيقة بموافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال، بحيث أن المتكلم إذا وجد نفسه في حالة خطاب معينة، لجأ إلى مستوى من الخطاب اللغوي يتلاءم مع مقتضى الحال"^٣.

وهذا يعني أن المتكلم باللغة العربية في المجتمع الجزائري، وحتى الناطقين بلغات أخرى يسايرون الوضع الذي يوجدون فيه لاستعمال مستوى معين من اللغة. فإن كان مثلا في الشارع فهو يستعمل في خطابه ما يتلاءم مع الوضع، فهو قد يستعمل اللهجة العربية الدارجة، أو اللغة الأمازيغية أو أي لغة أجنبية. وإذا كان في المدرسة أو الثانوية

أو الجامعة داخل القسم، فهو يستعمل اللغة العربية الفصحى.

اللغة سيادة:

تمثل اللغة سيادة أي دولة، لذلك يجب المحافظة عليها واستعمالها في كل المواقف، خاصة في المواقف الرسمية. إذ لا يحرز الشخص أو الجماعة - التي تستبعد لغتها الأصلية مهما كان المنصب أو المكانة الاجتماعية - على احترام الآخرين. فإن الشخصية المهمة في الدولة يجب عليها استعمال لغتها الوطنية الرسمية، في خطاباتها ومعاملاتها الرسمية، خاصة في مجال السياسة ليكون احترام دولتها احتراما حقيقيا وليس سطحيا. وتحدث

والفهلوية والفارسية والسريانية...".
 وازدادت في عصر هارون الرشيد
 الترجمة ازدهارا إذ كان يقدق الأموال
 على المترجمين، وأصبح لها وزعا رسميا
 تدخل به في سياسة الدولة، وتعتمد على
 رصيد غني من الخزانة العامة. وقد أنشأ
 الرشيد بيت الحكمة في بغداد، وهو مجمع
 يضم طائفة من العلماء والمترجمين، وله
 رئيس...وأمناء...ونساخون ومؤلفون
 ومترجمون من مختلف الجنسيات. وكانت
 فيه مكتبة عامة ومرصد فلكي ٦.
 وهكذا أصبحت اللغة العربية في
 العصر العباسي، خاصة القرن الرابع
 الهجري تستأثر وحدها بالعلم والعلماء، لا
 تنازعها في ذلك أي لغة أخرى. واكتسبت
 مكانتها من تأليف الكتب بها، واستعمالها
 من قبل العلماء على اختلاف مشاربهم، في
 خطاباتهم ومحاوراتهم اليومية. وقد قامت
 حركة الإحياء، التي بدأت النهضة الحديثة
 في أوروبا على ما انتقل إلى الغرب الأوروبي
 من تراثنا العلمي الحضاري. ويشهد
 على ذلك مؤرخو الحضارة الغربيون،
 مثل وول ديورانت، وتلليو، وبراون،
 وكراشكوفسكي، وتوينبي، وزيفريد
 هونكة وغيرهم ٧.

إسهامات الجزائر في التراث العلمي العالمي للغة العربية :

أن موضوع اللغة العربية في الجزائر،
 يمثل ركيزة قوية منذ عصر الاستعمار
 وقبله وبعده، ولنعطي هذه اللغة حقها
 ومكانتها من جديد، كلفة إبداع وأداة
 اختراع، واستئناف دورها التي كانت
 تقوم به في عصورها الذهبية. وذلك كلفة
 عالمية لدين عالمي، وأيضا كلفة حضارة

ليس للعلم حدود يتوقف عندها. ودليلنا
 الآخر الحضارة العربية الإسلامية، التي
 كان علماءها يؤلفون في شتى العلوم باللغة
 العربية، ونقل إليها مترجموها العلوم من
 سائر اللغات الأخرى. وكان علماء الغرب
 آنذاك يتسابقون إلى تعلم هذه اللغة،
 والترجمة منها إلى لغاتهم. إذ لا يخلو أي
 ميدان علمي من استخدام على الأقل كتاب
 واحد من كتب العلماء المسلمين والعرب.

هذا ما حفظها من الاندثار عبر
 التاريخ بالرغم من حملات الاستعمار
 المتوالية على الوطن العربي، وحرقت كتب
 التراث الخاص بها، ممّا عرض اللغة
 العربية لأزمات عنيفة كادت أن تعصف
 بها، وأبعدتها شيئا فشيئا. وحلت محلها
 اللهجات العامية التي شجّعها الاستعمار
 للقضاء عليها. وذلك قصد إحلال لغته
 محلها، لأنه عمل بشتى الوسائل لإزاحتها.
 ونحن الآن نرى العزوف عن استعمال اللغة
 العربية، واستبدالها باللغة الفرنسية في
 منطقة المغرب العربي، واللغة الانجليزية
 في منطقة الشرق الأوسط.

اللغة العربية لغة التأليف والترجمة :

كانت اللغة العربية ولا زالت لغة
 التأليف والترجمة. وما يؤكد لنا ذلك
 قول المسعودي: " كان أبو جعفر المنصور
 أول خليفة عباسي، ترجمت له الكتب
 من اللغات العجمية إلى اللغة العربية،
 ومنها كتاب كلية ودمنة، وكتاب السند
 هند، وترجمت له كتب أرسطو طاليس
 من المنطقيات وغيرها. وترجم له كتاب
 الماجسطي لبطليموس... وكتاب إقليدس
 في الهندسة... من اليونانية والرومية

الكاتب الجزائري أحمد بن نعمان عن
 اللغة كسيادة قائلا: " نقلت وكالات الأنبياء
 خبرا مقتضبا مفاده: أن إدارة (معهد
 باستور) هذه القلعة الفرنسية ذات
 الشهرة العالمية، قرّرت أن تصدر حولياتها
 باللغة الانجليزية، ولم يمر الخبر كما تمر
 بقية الأخبار الأخرى إلا أن الموضوع حيوي
 ويمسّ السيادة الوطنية الفرنسية. فقد
 ثارت ثائرة العلماء والكتاب والصحفيين
 والسياسيين، واعتبر الجميع هذا العمل
 خطيرا، لا ينبغي السكوت عنه. فقد شارك
 الإعلام الفرنسي في خوض هذه المعركة
 بمختلف وسائله. فهذه مجلة (جور د
 فرانس) كتبت على غلافها بعنوان بارز:
 (اللغة الفرنسية في خطر)... وكتبت
 أخرى (الجرثومة الأنجلوفونية في معهد
 باستور!! يا للفضيحة) ٤. ونعلق على
 ذلك أنه علينا استعمال اللغة العربية
 الفصحى في مخاطباتنا اليومية لنحافظ
 على سيادتنا، ونؤكد على حكامنا أن
 يستخدموها في خطاباتهم السياسية. فون
 في شتى العلوم باللغة العربية، ونقل إليها
 مترجموها

اللغة العربية لغة علم :

تتميز اللغة العربية عن اللغات
 الأخرى بميزة فريدة من نوعها، تتمثل في
 ارتباطها بالقرآن الكريم الذي نزل بها،
 والدين الإسلامي الذي يحث على طلب
 العلم، وبالتالي نجد أن اللغة العربية لغة
 علم. وذلك طبقا لحديث الرسول صلى
 الله عليه وسلم: أطلبوا العلم من المهد
 إلى اللحد. وهذا يعني أن ديننا الحنيف
 ورسولنا الشريف يدعواننا إلى طلب العلم
 منذ الميلاد حتى الوفاة، وهذا يعني أنه

وفكر وعلم وتكنولوجيا. وجب علينا ذكر إسهامات الجزائر بهذه اللغة ضمن مجموع الأمة العربية والإسلامية، بالرغم مما مرّ بها من محن عبر العصور، فقد عادت من المقبرة على حدّ قول المثل الفرنسي. وهذا لا يعني أننا ضدّ الثقافات واللغات الأخرى، بشرط أن تكون في خدمة اللغة العربية وليس العكس. ونذكر في هذا الإطار العالم أحمد المقرّي التلمساني، صاحب كتاب (نسخ الطيب، وغصن الأندلس الرطيب، وعملاقها لسان الدين بن الخطيب). إذ لا يحقّ تجاهل دور أبحاثه في نشر الأرقام العربية والهندسة، والرياضيات العربية في العالم بأسره، بفضل ذلك التلميذ الإيطالي الصغير، الذي جاء مع والده رئيس البعثة التجارية الدبلوماسية الإيطالية لجمهورية بيشا الإيطالية في بجاية، ودرس في مدارسها الرياضيات باللغة العربية، ونشر هناك باللغة اللاتينية معارفه، التي اكتشفها من الرياضيات والكسور، والهندسة والصفير... وكان ذلك أمام فريدريك الثاني ملك صقلية، الذي مهّد لها الانتشار في العالم، حتى أصبح العالم كلّه اليوم ومنذ قرون يسمّي أرقامنا بجميع اللغات العالمية، الأرقام العربية، التي قامت على عاتقها نهضة أوروبا والعالم، وتشغل بها الدنيا قاطبة. ٨.

ونذكر من عباقرة هذه الدنيا (آين شتاين)، و(فون براون)، وأيّ عالم في العالم المتقدم في جميع القارات، وحتى في عصور الجمود كانت لها مساهمات، مثل كتاب العالم الرياضي الجزائري (محمد حمزة) بعنوان: (تحفة الاعتماد في علم الأعداد) في الجبر والمثلثات الكروية، الذي ترجم إلى اللاتينية، ونشر في اسطنبول ٩٠.

استشراف واقع اللغة العربية في الجزائر من قبل علماء جزائريين:

سنقتصر على ذكر أحد العلماء الجزائريين الفطاحل، الذي استشراف واقع اللغة العربية في الجزائر بقوله: "إنّ هذا الجيل من شبابنا الذين نعتزّ بهم، هو الذي حرص جيلنا نحن على تكوينه شيئاً فشيئاً، وبدون ضجيج، ليس فقط منذ الاستقلال، بل منذ الثورة التحريرية. وقد تعاونت على توجيهه هذه الوجهة، كلّ من جبهة التحرير الوطني، وجمعية الطلبة الجزائريين، والاتحاد العام للعمال الجزائريين، ولئن يبدو عددهم اليوم محدوداً، فإنّ من سيأتي بعدهم من جيل الاستقلال، سيكونون أكثر منهم عدداً حتى يصبحوا في يوم قريب إن شاء الله، هم الذين يشكّلون مجموعة جديدة من المثقفين، خالية من عيوب التناقض الذي اتسمت به مجموعتنا نحن الحالية من (مغربيين ومفرنسين). وستكون هي المثلثة الحقيقية للفكر الجزائري الحديث، الأصيل المتطور والمعتزّ بشخصيته، المؤمن بإمكانياته الفكرية وتراثه القومي والمكون الحقيقي لثقافة الجزائر الحديثة". ١٠.

قيمة اللغة العربية في الجزائر:

تظهر لنا قيمة اللغة العربية في الجزائر من تمسك الشعب الجزائري بها بالرغم مما انتابها من التواثب عبر العصور من الاحتلال المتتابع، وآخرها الاحتلال الفرنسي، الذي عمل على مسخ الشخصية الجزائرية، من خلال محاولة سلبها لغتها وتاريخها ودينها، لكن الرد عليه كان قويا من خلال بيان نوفمبر للثورة

الجزائرية، الذي كان مضمونه: "احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني، (مع استثناء التمييز اللغوي لكونه أهمّ أسس ومقومات الهوية). وهو ما يتطابق تطابقاً كلياً مع شعار ابن باديس القائل: "الجزائر وطننا، والإسلام ديننا، والعربية لغتنا".

شعب الجزائر مسلم

وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله

أو قال مات فقد كذب

أورام إدماجاً له

رام المحال من الطلب. ١١.

واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية:

أنّ واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية مؤلم، لأن الكثير من الطلاب والأساتذة والإداريين لا يتقنونها. وهذا ينقص من فعاليتها في التحصيل الدراسي، ربّما لأنهم يحاولون إتقان لغات أخرى، وأدما إنترنت وغير ذلك. إلا أنّنا نبقى متفائلين بالرغم من النقائص التي تطبع واقع هذه اللغة في جامعاتنا. وذلك للجهود التي بذلتها الدولة الجزائرية في المحافظة على اللغة العربية وتدريبها في جميع أطوار التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. ومحاولتها تعريب الجامعة تدريجياً. وسنعرض بعض الأسباب التي وصمت هذا الواقع بالتدهور في الجامعة الجزائرية، ونذكر بعض الدوافع التي أدت إلى المحافظة على اللغة العربية.

في أي لحظة، وتصادر أموالها، ويزج معلموها في السجون. ثم جاء ما هو أضع وأشنع، ففي ٥ مارس ١٩٥٤ مقابل إعلان الحكومة الفرنسية على احتمال تعليم اللغة العربية في الجزائر، في حدود ما، وأمام تزايد النشاط السياسي الوطني الراض لتلك السياسة الجائرة. اجتمع المفتشون الأوروبيون للغة الفرنسية في الجزائر وقرروا ما يلي: نعلن نحن المفتشون العامون للتعليم الفرنسي في الجزائر، إننا قررنا ما يلي: حيث أنّ اللغة العربية هي لغات ثلاث في الواقع:

- ١- العربية الكلاسيكية أي (الفصحى التقليدية): وهي لغة قديمة ميتة مثل اليونانية واللاتينية.
- ٢- العربية الفصيحة الحديثة: وفي لغة أجنبية، وهي معروفة في المشرق العربي فقط، وغير معروفة في الجزائر، وممنوعة عندنا (أي عندنا).
- ٣- والعربية الدارجة (العامية): وهي لا تصلح لا للإدارة ولا للتعليم، فلا عربية إطلاقاً في الجزائر. ١٣.

وكانت في تلك الأثناء الجمعيات والأحزاب السياسية والمنظمات الجزائرية مختلفة فيما بينها في كل شيء، ومتصارعة ومتحارة، ومشتتة فيما يخص أهداف ووسائل أي نشاط في الحقل السياسي، وعن الكفاح بأي الطرق من أجل الحصول على الحرية، لكنها كانت متفقة على نقطة واحدة ومجمعة وموحدة بشأنها الملحة على تعليم العربية! واستمر ذلك إلى يوم إعلان جهاد أول نوفمبر ١٩٥٤. وحيث جاء ذكر اللغة العربية في صدارة أهداف ذلك الكفاح المسلح في نص الإعلان

التي أبرمت بين الداوي حسين رئيس الدولة الجزائرية آنذاك، والجنرال دوبرمان قائد الحملة المعتمدية باسم الملك الفرنسي شارل العاشر. حيث انتزع الجنرال الهلال والنجمة من فوق صومعة جامع كمشاوة في الجزائر (العاصمة)، ووضع محلها الصليب، كما انتزع علم الجزائر من فوق مبنى رئاسة الدولة (الديوان) ووضع محله العلم الفرنسي. ومن هذا التاريخ والحرب معلنة على اللغة العربية في الجزائر، بل أعلن موتها. ونادى المدمرون بالرجوع إلى اللغة اللاتينية التي كانت سائدة في العصور الرومانية.

وهكذا واصل الاستعمار الفرنسي تدميره للغة العربية في الجزائر بتخريب المدارس والمعاهد والجامعات، التي بقيت بعد حلوله المرفوض، خاصة في المناطق الحضرية أو المدن، وأجهز على ما بقي من آثار اللغة العربية بتجريد المعاهد الريفية من وسائل الاستمرار، فألقى الأوقاف الإسلامية، التي تعتمد عليها تلك المعاهد والمدارس، بقرار أصدره في ٢٨ مارس ١٨٤٢. وخنق بذلك تلك المؤسسات، وسلبها كل وسائل الحياة والاستمرار، فضلا عن النمو والتطور والازدهار... وزادت السلطة الاستدمارية في سنة ١٩٤٨ في تضيق الخناق على اللغة العربية بإعلانها: "أنّ كل من ليست له شهادة جامعية فرنسية، لا يحقّ له أن يدرس بل وحتى أن يعلم العربية في الجزائر" ١٢.

وذلك لخنق المدارس الحرّة التي فتحتها جمعية العلماء المسلمين، وحزب الشعب الجزائري، وغيرها من الجمعيات الأهلية، وكان ذلك بفضل التبرعات الشعبية. وكانت تلك المدارس تغلق بالفعل

أسباب تدهور مستوى اللغة العربية في الجامعة الجزائرية :

- ١- الاستدمار.
- ٢- نقص المطالعة باللغة العربية.
- ٣- نقص الإطارات المتعلمة باللغة العربية بعد الاستقلال مباشرة.
- ٤- آفة الأميّة.
- ٥- إرسال التلاميذ المطرودين من الطور المتوسط إلى التدريس في الطور الابتدائي.
- ٦- وسائل الإعلام مثل التلفزيون والإنترنت وغيرها.
- ٧- إصرار بعض الأسر المتشعبة بالثقافة الفرنسية على عدم ترك أبناءها يتعلمون اللغة العربية.
- ٨- عدم بذل الجهود لتحسين استخدام اللغة العربية بإتقان، وذلك بتطبيق مبدأ إسناد الشغل لغير أهله، وعدم العمل بمبدأ التوظيف على أساس الكفاءة.
- ٩- الصورة النمطية لأساليب تعليم اللغة العربية.

١- دور الاستدمار في إضعاف مستوى اللغة العربية :

حاولنا التركيز على دور الاستدمار في تدهور المستوى باللغة العربية في الجامعة الجزائرية، لأنّه أساس هذه الآفة منذ أن احتل الجزائر. وكانت تداعياته في إضعاف هذه اللغة وإحلال لغته محلّها قصد السيطرة على دولة الجزائر وإذلال شعبها بسلبه لغته الأصليّة. وقد عرضت اللغة العربية مأساتها منذ الغزو الفرنسي يوم (٥) خمسة جويلية سنة ألف وثمانية مائة وثلاثون (١٨٣٠). وذلك بالمعاهدة

نفسه. وتواصل التمسك بها أثناء هذا الكفاح والعمل بها حتى في السجن، حتى استرجاع الجزائر استقلالها في ٥ جويلية ١٩٦٢. ومنذ انعقاد الاجتماعات الأولى لوضع الدستور، نصّت المادة الثانية منه بالإجماع على أنّ دين الدولة هو الإسلام، والمادة الثالثة على أنّ اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية. كل هذه الظروف التي أوجدها الاستدمار والعراقيل، التي وضعها أمام تعليم اللغة العربية، كانت سببا في هذا الواقع المرّ، من تدهور مستوى اللغة العربية في الجامعة الجزائرية.

٢- نقص المراجع باللغة العربية :

يعاني الطلبة من نقص أو شبه انعدام المراجع باللغة العربية، لذلك يلجأون أحيانا إلى الإنترنت، وكذلك الكتب باللغات الأخرى، وهذا بطبيعة الحال يؤثّر على جودة المستوى باللغة العربية. وينبع هذا عن عزوف الأساتذة على التأليف بسبب مشكلة النشر العويصة في الجزائر، وكذلك عدم الانسجام بين الدول العربية، الذي يمكن أن يحل المشكلة.

٣- نقص الإطارات المكوّنة باللغة

العربية بعد الاستقلال مباشرة :

كان يوجد نقص كبير في الإطارات المتقنة للغة العربية بعد الاستقلال مباشرة، بعد خروج المحتل الفرنسي من الجزائر، ترك وراءه فراغا كبيرا في الإطارات في كلّ المجالات، والتعليم العالي من بينها.

٤- فرنسة الجامعة وسيطرة النخبة

الفرنسة على تعليم العالي :

وكان ذلك بسيطرة النخبة المفرنسة على سياسة التربية والتعليم في الجزائر في الجزائر. وهكذا بقي الفكر المفرنس سائدا في التعليم العالي، حتى بعد تعريب الأطوار الثلاثة للتعليم. وهكذا بقيت هذه الفكرة راسخة خاصة في التعليم الجامعي، ممّا جعل ذوي التعليم باللغة العربية من الدرجة الثانية بالنسبة للمسؤولين على هذا القطاع.

٥- تعيين بعض التلاميذ المطرودين

من الطور المتوسط للتدريس في

الطور الابتدائي :

نظرا للنقص الموجود في المكوّنين باللغة العربية، والوضع المأساوي الذي تركه الاستدمار بعد خروجه من الجزائر، وحاجة الجزائريين الماسة إلى رفع التحدي أمام العدو للنهوض بالتعليم في الجزائر، مهما كانت الظروف. لذلك اضطرت السلطات إلى تعيين حتى التلاميذ المطرودين من الطور المتوسط كعمّالين في الابتدائي، لسدّ الفراغ الموجود. وكما يعلم الجميع لا ننتظر من التلميذ المطرود من المدرسة أن يكون لنا التلاميذ تكويننا جيّدا، إلاّ من كان طرده لظروف القاهرة وليس لضعف مستواه الدراسي.

٦- الصورة النمطية لأساليب

وأساتذة تعليم اللغة العربية :

تغفل بعض أساليب وطرق التعليم استعمال اللغة العربية الفصحى، بحيث تنقل العلوم و الفنون باللهجات المحلية، أو باللغة الفرنسية في علوم الطب والصيدلة

والتكنولوجيا وغيرها في جامعاتنا. هذا مع الإشارة إلى أنّ الطلبة يتلقون تعليمهم في المراحل السابقة للجامعة باللغة العربية، وهو ما يؤدي إلى تشتت أذهانهم بين لغتين دون سابق تحضير. إذ ينتقلون من المرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية ليجدوا أنفسهم مجبرين على استعمال الفرنسية. وقد تسبّب هذا الانتقال المفاجئ لعدد كبير من الطلبة المتفوقين، في عدم متابعتهم للدراسة في المجالات التي تستعمل اللغة الفرنسية. وهذا ما كان يدفعهم إلى تغيير التخصص، أو متابعة دروس التدعيم في اللغة الفرنسية. وكثير ما تنقل اللغة العربية نفسها إلى الطلّاب بأساليب عامية أو شبه عامية، فتدخل عقولهم وترسخ في أذهانهم مشوّمة. وهذا ليس حال اللغة العربية في الجزائر فقط، بل تتقاسم هذا الوضع جميع الدول العربية بدرجات متفاوتة، حيث اكتشفنا ذلك من خلال زياراتنا لبعضها، ولم نجد في الشارع من تتواصل معه باللغة العربية. ١٥

٧- التراجع غير المباشر على مبدأ

التعريب :

يعود تقهقر استعمال اللغة العربية الفصحى في الجامعة إلى تجاوزات بعض المسؤولين. في غض البصر عن عدم استعمال العربية الفصحى حتى في المجالات المعربة أصلا. وذلك بالترخيص لبعض الطلبة بمناقشة رسائلهم باللغة الفرنسية، لاعتبارات ذاتية. وكذلك الأمر في عدم الاستعمال الفعلي لهذه اللغة في الإدارة والمؤسسات الاقتصادية والتجارية. هذا ما أدى إلى نقص في الدوافع التي تحثّ على إقبال الطلبة وغيرهم على تعلّم

كبير في المحافظة على اللغة العربية وإعادة الاعتبار إليها. وذلك على مستوى الجامعة والمجتمع. حيث ظهرت فئة من الجزائريين متشعبة بالروح والثقافة العربيةتين، حيث تستعمل اللغة العربية في البيت و نشأت أبنائها على ذلك. وأصبحنا نستقبل في الجامعة طلبة يستعملون اللغة العربية أفضل ممّن سبقوهم، وهذا يعني أنّ مستقبل اللغة العربية في الجامعة الجزائرية سيكون أفضل ممّا كان عليه في الماضي.

الخاتمة:

نختم بحثنا ببعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه المداخلة، التي تمثل بعض مظاهر واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية. وذلك من خلال

- ١- اعتقاد الكثير من الطلبة وغيرهم أنّ اللغة العربية غير قادرة على الإبداع لأنّها ليست لغة علم مثل اللغات الأجنبية التي انبهروا بها.
- ٢- الجو العام في المجتمع الجزائري الذي يوحى بسيطرة اللّهجات المحلية واللغات الأجنبية التي تتعامل بها بعض شرائح المجتمع، إمّا بسبب الجهل وإمّا بسبب التباهي والاختلاف أمام الناس. هذا كلّه ألقى ضلاله على الجامعة الجزائرية بضعف مستوى هذه اللغة فيها.
- ٣- كما يعود هذا الواقع إلى السياسة الاستدمارية طيلة أكثر من قرن، التي رسّخت ثقافتها ولغتها في الشعب الجزائري بعد أن جرّده من ثقافته ولغته الأصليتين. وأساتذة

أجل الاكتفاء الذاتي من الإطارات الجزائرية، التي تقنيها عن توظيف أساتذة أجانب ليس لهم صلة بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري.

٢- التعريب: كان التعليم في الجامعة بعد الاستقلال مباشرة باللغة الفرنسية، نظرا للفرغ الذي عانته الجزائر في شتّى الميادين بعد مغادرة المستدمر لها، لكن بدأت الدولة في تطبيق عملية تعريب الجامعة بفروع الأدب العربي والفلسفة والتاريخ، وغيرها من العلوم الإنسانية، وكانت الدراسة باللغتين الفرنسية والعربية في هذه العلوم، وبدأ التعريب ينتشر تدريجيا حسب الظروف، حتّى تعميمه في جميع العلوم الإنسانية، ثمّ بعض العلوم الأخرى كالعلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والرياضيات. كما تمّ تأسيس المجلس الأعلى لتعميم استعمال اللغة العربية في بداية الثمانينيات، تحت رئاسة الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، لم تابعة عملية التعريب في شتّى الميادين خاصّة التعليم الجامعي. ١٨.

٢- الديموقراطية: ويعني ذلك ديموقراطية التعليم الجامعي ومجانيته، وانتشاره في كلّ أنحاء الوطن، وتكوين الأساتذة باللغة العربية، ووضع هذا التعليم في متناول جميع شرائح المجتمع. وتطويرة باستخدام الطرق العصرية التي تعتمد على التكنولوجيا الحديثة في تعليم اللغة العربية في بعض التخصّصات. ١٩.

٤- الصحوة الدينيّة: كان لهذه الصحوة بما فيها من سلبيات وإيجابيات، أثر

هذه اللّغة وإتقانها، بالإضافة إلى اندماج الرابط الروحي بين الطالب أو المتعلم ولغته لعدّة أسباب. وهذا ما لاحظناه من خلال عدم اهتمام أغلب الناشئة باللغة العربية الفصحى. ١٦.

أسباب المحافظة على اللغة العربية في الجامعة الجزائرية: الإصلاحات التي أدخلت على التعليم العالي:

نرى أنّه بالرغم من النقائص التي يتسم بها واقع الجامعة، فيما يخصّ تدهور المستوى في اللغة العربية، فهي لا تتفصل عن المجتمع الجزائري الذي تعيش في كنفه. إذن بعد قيام السلطات الجزائرية بتعريب الأطوار الأولى للتعليم، رأّت أنّه يجب إجراء إصلاح جذري في التعليم العالي، بإعادة هيكلة كلّ الأنظمة التي ورثتها الجزائر عن فرنسا، وبنت التعليم العالي على نظام الوحدات الفصلية التي تدمم فصلا واحدا، والاختبارات المستمرة. ١٧. وهكذا قامت السلطات بإدخال إصلاحات على التعليم العالي، كان الهدف منها الجزارة والتعريب والديموقراطية.

١- الجزارة: فكّرت السلطات الجزائرية بعد الاستقلال مباشرة، في جزارة المنظومة التربويّة عامّة والتعليم خاصّة، وذلك قصد الحدّ من التّبعية والقضاء عليها. وكان ذلك بتكوين أساتذة وإطارات جزائرية لتسيير الجامعة الجزائرية. واقتضت الجزارة تدخل الدولة في مقرّرات التعليم، وطريقة التكيف مع الحاجات الوطنية من الإطارات. وذلك من

- وطلبة الجامعة يمثلون جزءاً من هذا الشعب، وبالتالي تأثروا بهذه السياسة من خلال محيطهم الاجتماعي. واللغة بأهلها، وتمتثل اللغة الأكثر تحضراً في تلك التي تفرض نفسها، بحيث يكون الناطقون بها أكثر إبداعاً فنياً وأقدر على التفكير السليم. وبعد عرضنا لبعض النتائج، نقترح بعض الحلول لهذا الواقع كما يأتي:
- ١- أن يركّز التخطيط اللغوي على دور وسائل الإعلام في استخدام لغة عربية راقية، تعبّر عن اهتمامات المجتمع الجزائري، والمجتمعات العربية وثقافتها، تجذب الطلبة وغيرهم من أفراد المجتمع الجزائري.
- ٢- إعادة الاعتبار إلى البحث العلمي باللغة العربية، وترجمة المصطلح وتوحيده في كافة الدول العربية
- دون استثناء، لكن بالرغم من هذا الواقع المؤلم للغة العربية في الجامعة العربية، والجامعة الجزائرية، إلا أنه يمكن إصلاحه بشيء من الرجوع إلى المنطق، الذي يقول أنه لا يمكن لأي دولة أن تتقدّم دون الانطلاق من واقعها الاجتماعي، وأصالتها واستخدام لغتها الأصلية.

المراجع:

- ١- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية (الحقائق والمغالطات)، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٩٦.
- ٢- ثريا التجاني، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، دار الهدى، الجزائر ٢٠١١.
- ٣- خليل أبو رحمة، دور اللغة العربية في البناء الحضاري، نخبة من أساتذة جامعة الإمارات العربية المتحدة (الحضارة العربية الإسلامية)، ج ٢ م ٢٠١٤.
- ٤- صحرة دحمان، أثر تعليم اللغات الأجنبية في اللغة العربية والهوية الثقافية (أثر اللغة الفرنسية - الجزائر نموذجاً)، مجلة اللغة والأدب، العدد ٢٢، جامعة الجزائر ٢، الجزائر ٢٠١٤.
- ٥- عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ٢٠١١.
- ٦- عبد العزيز مطر، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، دار المعارف، جمهورية مصر العربية ١٩٨١.
- ٧- فطومة سويسي، مقارنة تحليلية بين لغة التخاطب بالفصحى، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ١٩٨٨.
- ٨- منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المركز الثقافي الإسلامي، قاسم نايت بالقاسم (المفكر الجزائري الموسوعي)، سلسلة أعلام الجزائر، الجزائر ٢٠١٣.

الهوامش

- ١ - خليل أبو رحمة، دور اللغة العربية في البناء الحضاري، نخبة من أساتذة جامعة الإمارات العربية المتحدة، الحضارة العربية الإسلامية/ جامعة الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٤، ص ٩٠-٩١.
- ٢ - عبد العزيز مطر، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، دار المعارف، ج.م.ع ١٩٨١، ص/ج.
- ٣ - فطومة سويسي، مقارنة تحليلية بين لغة التحرير ولغة التخاطب بالفصحى، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ١٩٨٨، ص ٧٨.
- ٤ - أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية (الحقائق والمغالطات)، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٩٦، ص ٨٩.
- ٥ - خليل أبو رحمة، دور اللغة العربية في البناء الحضاري، مرجع سابق، ص ٩٧.
- ٦ - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٧ - المرجع نفسه، ص ٩٩.
- ٨ - منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سلسلة أعلام الجزائر (١)، مولود قاسم نايت بلقاسم (المفكر الجزائري الموسوعي)، المركز الثقافي

- الإسلامي، الجزائر ٢٠١٣، ص ٤٣٧-٤٣٨.
- ٩ - المرجع نفسه، ص ٤٣٨.
- ١٠ - عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١، ص ١٨٤.
- ١١ - المرجع نفسه، ص ١٤٤.
- ١٢ - منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سلسلة أعلام الجزائر (١)، مولود قاسم نايت بلقاسم (المفكر الجزائري الموسوعي)، مرجع سابق، ص ٤٣٩.
- ١٣ - المرجع نفسه، ص ٤٤٠-٤٤١.
- ١٤ - المرجع نفسه، ص ٤٤١-٤٤٢.
- ١٥ - صحرة دحمان، أثر تعليم اللغات الأجنبية في اللغة العربية والهوية الثقافية (أثر اللغة الفرنسية- الجزائر نموذجاً)، مجلة اللغة والأدب، العدد ٢٢، جامعة الجزائر ٢، الجزائر ٢٠١٤، ص ٨٩.
- ١٦ - المرجع نفسه، ص ٩٣.
- ١٧ - منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سلسلة أعلام الجزائر (١)، مولود قاسم نايت بلقاسم (المفكر الجزائري الموسوعي)، مرجع سابق، ص ٤٤٩.
- ١٨ - ثريا التجاني، التقييم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، دار الهدى، الجزائر ٢٠١١، ص ١٤٥-١٤٦.
- ١٩ - المرجع نفسه، ص ١٤٦.